

فجرُ القُدَى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

شعبي

٨

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يونس عليه السلام
- ٨- شعيب عليه السلام
- ٩- أيوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُثِرَتْ وزيدت إشرافاً بذكر أخبار رُسل الرحمة والإنسانية ، رُسل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسل وأنبياء .
قال الله تعالى: (وَكَأَلَّا نَقْصُ عَنِّيكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا تَنَبَّيْتُ بِهِ فَوَإِذَاكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

فَجَدُّ الْهَدَى وَالْإِيْمَانِ

شُعَيْبٌ

عَلَيْهِ السَّلَامُ
نَبِي قَوْمِ الْأَيْكَةِ

من قصص

الأنبياء

عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الحريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه

أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي
ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أهل مَدِين

مَدِينُ، مَدِينَةُ قَرِيبَةٍ مِنْ مَعَانَ، مِنْ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَمَدِينُ قَبِيلَةِ عَرَبِيَّةٍ، عُرِفَتْ بِهِمْ اسْمُ مَدِينَتِهِمْ وَهُمْ مِنْ بَنِي مَدِينِ بْنِ مَدْيَانَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَمَّا النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهُوَ شُعَيْبُ بْنُ نُؤَيْبِ بْنِ عَيْفَا ابْنِ مَدِينِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِمَّنْ آمَنَ بِإِبْرَاهِيمَ وَهَاجَرَ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمْ بِخَطِيبِ الْأَنْبِيَاءِ، وَذَلِكَ لِفَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ، فِي دَعْوَةِ قَوْمِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ مَدِينِ، الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَيْكَةَ^(١)، وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُشْرِكُونَ بِهِ وَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَى الْمَارَّةِ، وَيُخَيِّفُونَهُمْ، وَكَانُوا إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ يُعَامِلُونَ النَّاسَ مُعَامَلَةً سَيِّئَةً، فَيَبْخَسُونَ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، وَيُطْفِقُونَ فِيهَا، فَإِذَا بَاعُوا النَّاسَ زَادُوا فِي أَسْعَارِهِمْ، وَإِذَا اشْتَرَوْا مِنَ النَّاسِ أَنْقَصُوا

(١) الأيكة: شجرة من الأيك تلتف حول الأشجار.

أَسْعَارُهُمْ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاصِفًا مَدِينَهُ، دَاعِيًا إِلَى
الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ:

﴿وَالِى مَدِينَةٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ
إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا^(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَدِّهِ
لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنْ سُوءِ الْخُلُقِ وَالْمُعَامَلَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ
بَخْسِ النَّاسِ أَشْيَاءَهُمْ وَأَمَرَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْأَلا
يَتَرَصَّدُوا النَّاسَ فِي الطَّرِيقَاتِ، يُخَيِّفُونَهُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ
الْأَمْوَالَ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي
إِكْثَارِ عَدَدِهِمْ بَعْدَ الْقِلَّةِ وَحَذَّرَهُمْ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُمْ
خَالَفُوا أَوْامِرَهُ وَابْتَعَدُوا عَمَّا أَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ

(١) تبخسوا: تنقصوا.

(٢) سورة الأعراف (٨٥).

ءَامَنَ بِهِ، وَتَبِعُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكَذَّبَكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾.

عنادُ أهلِ مدين

لَكِنَّ أَهْلَ مَدْيَنَ، لَمْ يَسْتَمِعُوا إِلَى شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَصَمُّوا آذَانَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، أَمَّا
أَكْثَرُهُمْ فَبَقِيَ عَلَى ضَلَالِهِ وَكُفْرِهِ، بَلْ قَالُوا لَهُ:

- هَلْ صَلَاتُكَ هَذِهِ الَّتِي تُؤَدِّيهَا، هِيَ الَّتِي تُوحِي إِلَيْكَ، أَنْ
تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا وَتَتَوَجَّهَ إِلَى عِبَادَةِ إِلَهِكَ؟ وَمَاذَا
تُرِيدُ مِنَّا؟ هَلْ تُرِيدُ أَنْ نَتَعَاملَ مَعَ النَّاسِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَرْضَاهُ
أَنْتَ؟ وَنَتْرَكَ الْمَعَامِلَاتِ الَّتِي تَأْبَاهَا، إِنْ كُنَّا نَحْنُ نَرْضَاهَا.

وَلَكِنَّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُظْهِرِ الْغَضَبَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَجْفُ
عَلَيْهِمْ، أَوْ يَقْسُ بَلْ دَعَاهُمْ بِاللِّينِ وَالرَّفْقِ فَتَلَطَّفَ بِهِمْ،
وَاسْتَمَالَهُمْ بِالْحُسْنَى، وَذَكَرَهُمْ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنْ قَرَابَةٍ
وَنَسَبٍ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(١) سورة الأعراف (٨٦).

﴿ قَالَ يَتَقَوَّمُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَلِينَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ ^(١) إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ^(٢) ﴾ ^(٣) .

فَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لَا يَسْتَتْنِي نَفْسُهُ، مِمَّا يَأْمُرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا يَقُولُ لِقَوْمِهِ: لَسْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْأَمْرِ، إِلَّا وَأَنَا أَوَّلُ مُلْتَزِمٍ بِهِ، وَلَسْتُ أَنْهَأَكُمْ عَنْ شَيْءٍ، إِلَّا وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَتْرُكُهُ وَيَبْتَغِدُ عَنْهُ، وَهَذِهِ هِيَ الصِّفَةُ الْمَحْمُودَةُ، فَيَمْنَنُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ مَا لَا نَفْعَلُ، أَوْ نَفْعَلَ مَا لَا نَقُولُ، كَمَا كَانَ حَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَكْتَبُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٤) .

لَكِنَّ شُعْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَحَسَّ نُفُورًا مِّن قَوْمِهِ وَصَدًّا، وَوَجَدَ فِيهِمْ رَغْبَةً فِي مُخَالَفَتِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا جَاءَ بِهِ، رَغْمَ أَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقِيقَةَ، وَأَفْصَحَ لَهُمَ عَنْ سُوءِ فِعَالِهِمْ وَحَذَّرَهُم مِّنْ عَاقِبَةِ

(١) إِنْ أُرِيدُ: مَا أُرِيدُ.

(٢) أُنِيبُ: أَرْجِعُ.

(٣) سورة هود (٨٨).

(٤) سورة البقرة (٤٤).

طُغْيَانِهِمْ وَظُلْمِهِمْ، فَانْتَقَلَ فِي دَعْوَتِهِ مِنَ اللَّيْنِ وَالرَّفْقِ إِلَى نَوْعٍ
 مِنَ التَّرْهِيبِ وَالتَّحْذِيرِ فَذَكَرَهُمْ بِمَا حَلَّ بِأَقْوَامٍ سَبَقُوهُمْ مِنْ
 عَذَابٍ شَدِيدٍ وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْأَقْوَامِ قَرِيبُونَ مِنْهُمْ
 كَقَوْمِ لُوطٍ. فَكَيْفَ يَتَجَاهَلُونَ قَوْمَ نُوحٍ، الَّذِينَ أَغْرَقَهُمُ اللَّهُ، وَلَمْ
 يُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ؟ وَكَيْفَ يَنْسَوْنَ قَوْمَ هُودٍ الَّذِينَ
 أَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ فَبَاثُوا فِي هَلَاكِ مُبِينٍ؟ بَلْ كَيْفَ يَتَعَامُونَ عَنْ
 قَوْمٍ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ بَاثُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ؟^(١).
 يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ:

﴿وَيَنْقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ^(٢) شِقَاقِي^(٣) أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ
 أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٤).

ثُمَّ مَالَ النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ، مِنَ
 التَّرْهِيبِ، إِلَى التَّرْهِيبِ وَالتَّرْغِيبِ، مَعًا وَهَذَا مِنْ حُسْنِ الْفِعَالِ،
 فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى رَبِّهِمُ الرَّحِيمِ الْوَدُودِ، وَأَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ
 فَإِنَّهُ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، تَابَ عَلَيْهِ، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ:

(١) جائمين: مقيمين دون حراك.

(٢) يجرمنكم: يكسبنكم أو يحملنكم.

(٣) شقائي: خلافي.

(٤) سورة: هود (١٩).

﴿وَأَسْتَغْفِرُكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (١).

لَكِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا فِي عِنَادِهِمْ وَكُفِّرْهُمْ بَلْ ابْتَدَعُوا حُجَّةً جَدِيدَةً،
فَقَالُوا لَنَبِيِّهِمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- إِنَّكَ يَا شُعَيْبُ، ضَعِيفٌ لَسْتَ ذَا قُوَّةٍ وَحَزْمٍ، بَلْ أَنْتَ
مُضْطَهَّدٌ، وَلَوْ لَا قَبِيلَتُكَ وَعَشِيرَتُكَ فِينَا، لَكَانَ لَنَا شَأْنٌ آخَرُ
مَعَكَ، وَلِحَارِبِنَاكَ وَرَجْمِنَاكَ. أَفْتَدْعُونَا الْآنَ إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْآبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ، فَنَحْنُ لَا نَفْهَمُ مَا تَقُولُ، وَلَا
نُرِيدُ أَنْ نَفْهَمَهُ لَأَنَّا لَا نُحِبُّهُ وَلَا نُرِيدُهُ:

﴿قَالُوا يَشْعَبُ مَا نَفَقَهُ﴾ (٢) كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا
رَهْطُكَ (٣) لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ (٤).

أَمَّا شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَسْتَكِنْ، وَلَمْ يُطَاطِءْ رَأْسَهُ، أَمَامَ
عَزَائِهِمْ وَجَبْرَوْتِهِمْ، بَلْ انْدَفَعَ يَدْحَضُ افْتِرَاءَهُمْ (٥)، وَهَبَّ يَدْفَعُ
بَاطِلَهُمْ، وَزُورَهُمْ بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَتُهُ الْعِزَّةُ بِنَصْرِ رَبِّهِ، فَأَوْضَحَ لَهُمْ

(١) سورة هود (٩٠).

(٢) نَفَقَهُ: نَفَهُمُ.

(٣) رَهْطُكَ: قَبِيلَتُكَ.

(٤) سورة هود (٩١).

(٥) افتراءهم: كذبهم.

أَنْ رَهْطَهُ لَيْسُوا أَرْفَعَ قَدْرًا وَلَا أَشَدَّ قُوَّةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي
مَنْحَهُمْ هَذِهِ الْقُوَّةَ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ هَذِهِ النُّعْمَةَ وَقَالَ :

- كَانَ الْأَجْدَرُ بِكُمْ أَنْ تَتْرَكُونِي رِعَايَةً لِحَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
وَتَحْفَظُونِي طَاعَةً لَهُ ، لَا إِكْرَامًا لِقَوْمِي وَعِزَّتِهِمْ . وَمَعَ هَذَا فَاللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمٌ ، بِمَا تَصْنَعُونَ ، مُحِيطٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، فَافْعَلُوا مَا
شِئْتُمْ ، اسْتَمِرُّوا فِي نَهْجِكُمْ وَطَرِيقَتِكُمْ ، وَحَاوِلُوا إِيصَالَ الشَّرِّ
لِي ، فَلَنْ أَضْعُفَ وَلَنْ أَقْنَطَ^(١) وَلَنْ أَتَخْلَى عَنِ الدَّعْوَةِ الَّتِي
أُرْسِلْتُ مِنْ أَجْلِهَا ، فَثِقْتِي بِاللَّهِ وَبِنَصْرِهِ لَا حُدُودَ لَهَا ، أَمَّا أَنْتُمْ
فَانْتَظِرُوا عَاقِبَةَ الدَّارِ ، إِلَى أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ الْهَلَاكُ وَالْبَوَارُ .

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي سُورَةِ هُودٍ : ﴿ قَالَ يَنْقُومِ
أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا
تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٧﴾ وَيَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِيبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي
مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾^(٢) .

(١) أقنط : من القنوط وهو اليأس .

(٢) سورة هود (٩٢ ، ٩٣) .

استمرارُ الدعوة

وَاسْتَمَرَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ
الْأَحَدِ، الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ، فَوَجَدَ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ آذَانًا صَاعِيَةً
وَقُلُوبًا وَاعِيَةً، فَأَمَّنَ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْهُمْ، لَكِنَّ الْفِتْنَةَ الْبَاعِيَةَ،
اسْتَمَرَّتْ فِي كُفْرِهَا وَعِنَادِهَا وَمُحَارَبَتِهَا لَشُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَلَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، فَاشْتَدَّ آذَاهُمْ لَهُ وَلَأَصْحَابِهِ، وَخَاصَّةً
أَنَّهُمْ خَافُوا إِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ أَنْ يَقْوَى عُوْدُهُ وَيَشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَيَعْظُمَ
أَمْرُهُ وَيَنْتَشِرَ دِينُهُ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَرُدَّ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ إِلَى مِلَّتِهِمْ
وَدِينِ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِيمَانِ، الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَهُمْ
وَمَلَكَ مَشَاعِرَهُمْ، فَأَصْبَحُوا وَالْإِيمَانُ، شَيْئًا وَاحِدًا، لَا يَنْفَصِلُ
فَكَيْفَ تُرِيدُونَهُمْ أَنْ يَزْتَدُّوا عَنْ دِينِهِمْ، بَعْدَ أَنْ فَازُوا فَوْزًا
عَظِيمًا؟ وَوَعَدَهُمُ اللَّهُ بِجَنَاتِ النَّعِيمِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ،
أَتُرِيدُونَهُمْ أَنْ يَعُودُوا إِلَى الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى؟ أَتُرِيدُونَهُمْ أَنْ يُلْقُوا
بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ؟ أَلَسْتُمْ
تَعْقِلُونَ يَا قَوْمِ؟ أَلَمْ أَبَيِّنْ لَكُمْ طَرِيقَ الْخَيْرِ مِنْ طَرِيقِ الشَّرِّ؟ أَلَمْ

أَدْعُكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَمَا لَكُمْ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ إِنَّهُمْ لَنْ يَعْبُدُوا إِلَى مِلَّتِكُمْ بِمَخْصِ إِرَادَتِهِمْ، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَ إِلَيْكُمْ، إِنْ عَادُوا، مُضْطَرِّينَ كَارِهِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ إِذَا سَكَنَ قَلْبَ أَحَدٍ، أَشَاعَ فِيهِ الثُّورَ وَالضِّيَاءَ، وَنَشَرَ فِيهِ الْأَمْنَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، فَأَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، نِعْمَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ إِنَّكُمْ يَأْقُومُ بِضَلَالِكُمْ تُثِيرُونَ حُزْنِي وَالْمِي عَلَيْكُمْ، وَلَا تَسْتَحِقُّونَ سِوَى الشَّفَقَةِ، عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَكُمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَيَدُلُّكُمْ إِلَى طَرِيقِ الرَّشَادِ وَالْهَدَايَةِ.

وَعِنْدَمَا وَجَدَ قَوْمُ شُعَيْبٍ صَلَابَةَ إِيْمَانِهِ وَإِيْمَانِ أَصْحَابِهِ هَدَّوْهُ: إِنْ هُوَ لَمْ يَرْجِعْ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى مِلَّتِهِمْ فَلَسَوْفَ يَطْرُدُونَهُمْ مِنْ قَرْيَتِهِمْ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ:

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَعَثْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (١).

(١) سورة الأعراف (٨٨، ٨٩).

وَكَغَيِّرِهِمْ مِنَ الْكُفْرَةِ وَالْفَاسِقِينَ الضَّالِّينَ، ائْتَهُمُ النَّبِيُّ شُعَيْبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ قَدْ أَصَابَهُ مَسٌّ مِنَ الْجُنُونِ، أَوْ أَنَّهُ سَاحِرٌ خَدَعَ بَعْضَهُمْ بِسِحْرِهِ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ بَلْ قَالُوا لَهُ: إِنَّمَا أَنْتَ يَاشُعَيْبُ وَاحِدٌ مِنَّا، وَبَشَرٌ مِثْلُنَا، تَأْكُلُ كَمَا نَأْكُلُ، وَتَشْرَبُ كَمَا نَشْرَبُ، أَفَيُعْقَلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَبْعُوثِينَ؟ وَمَا نَظْنُكَ يَاشُعَيْبُ إِلَّا كَاذِبًا مُدَّعِيًا، فَإِنْ كُنْتَ عَلَى حَقٍّ مِمَّا تَقُولُ فَاطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ أَنْ يُسْقِطَ عَلَيْنَا كِسْفًا^(١) مِنَ السَّمَاءِ. ثُمَّ اتَّجَّهُوا مَرَّةً ثَانِيَةً، إِلَى مَنْ حَسِبُوهُمْ مُسْتَضْعَفِينَ فَخَوَّفُوهُمْ الْعِقَابَ الشَّدِيدَ، إِنْ تَرَكُوا ظُلْمَ النَّاسِ وَعَامَلُوهُمْ بِالْقِسْطِ، وَلَمْ يُطَقِّفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، أَوْ لَمْ يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَيَعِيشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ضَالِّينَ مُضِلِّينَ.

العقاب الشديد

وَلَمَّا فَقَدَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَمَلَ، فِي إِنْقَادِ قَوْمِهِ، وَانْتِشَالِهِمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ، إِلَى شَاطِئِ الْأَمَانِ، وَيَسَّرَ مِنْ هِدَايَتِهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَيَقَنَ مِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ،

(١) كِسْفًا: قطعاً من السماء.

اسْتَفْتَحَ عَلَى قَوْمِهِ، وَاسْتَنْصَرَ رَبَّهُ فِي تَعْجِيلِ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ، وَدَعَا عَلَيْهِمْ، وَطَلَبَ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يُجَازِيَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَرُدُّ دُعَاءَ رُسُلِهِ، فَدَعَاؤُهُمْ مُسْتَجَابٌ، وَخَاصَّةً إِذَا اسْتَنْصَرُوهُ عَلَى الَّذِينَ جَحَدُوا بِهِ وَكَفَرُوا بِدِينِهِ.

وَلَكِنَّ الْقَوْمَ لَاهُونَ مُنْصَرِفُونَ إِلَى مَلَذَّاتِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، يَحْسِبُونَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَقَاءٍ بَلْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ خَالِدُونَ فِيهَا، مُتَنَاسِلِينَ مَا حَلَّ بِأَقْوَامٍ قَدْ سَبَقُوهُمْ.

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الْعَذَابِ، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ جَآمَ غَضَبِهِ، فَبَاتُوا فِي أَسْوَأِ حَالٍ، يَتَضَرَّعُونَ وَيَطْلُبُونَ النِّجْدَةَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، فَلَا يَجِدُونَ مُغِيثًا^(١) وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ، فَتَالُوا عِقَابَهُمُ الَّذِي اسْتَعْجَلُوهُ.

فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ، أَنَّهُمْ أَخَذْتَهُمْ رَجْفَةً فَأَحْسُوا الْأَرْضَ تَتَزَلْزَلُ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ زِلْزَالًا شَدِيدًا، فَأُزْهِقَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، وَصَارَتْ حَيَوَانَاتُ الْأَرْضِ

(١) مغيثاً: منقذاً.

كَجَمَادِهَا، وَأَصْبَحَتْ جُثُثُهُمْ جَائِمَةً لَا حَرَكَ فِيهَا.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴾^(١)

وَأَمَّا فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ أَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ، فَأَصَابَهُمْ حَرٌّ شَدِيدٌ، وَمَنَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْهَوَاءَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، فَكَانَ لَا يَنْقُصُهُمْ مَاءٌ وَلَا ظِلٌّ فَوَلَّوْا هَارِبِينَ، وَخَرَجُوا مَذْعُورِينَ مُسْرِعِينَ، وَلَكِنْ إِلَى أَيْنَ الْمَفَرُّ؟ فَصَارُوا أَشْبَهَ بِالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ^(٢) بِالنَّارِ، إِذَا رَأَوْا فِي السَّمَاءِ سَحَابَةً حَسِبُوهَا وَاقِيَةً لَهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَاجْتَمَعُوا تَحْتَهَا، عَسَى أَنْ تُخَفِّفَ عَنْهُمْ شِدَّةَ الْقَيْظِ وَحَرَارَتَهُ، حَتَّى إِذَا تَكَامَلَ عَذَابُهُمْ أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَرْمِيهِمْ بِشَرِّ وَشْهِبٍ، فَأَزْهَقَتْ أَرْوَاحَهُمْ وَأَحَالَتْ دِيَارَهُمْ إِلَى خَرَابٍ تَغْبُثُ فِيهَا الْأَشْبَاحُ وَتَضْفِرُ فِيهَا الرِّيَّاحُ.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف الآية / ٩١ .

(٢) الرمضاء: حرارة الصحراء الشديدة

(٣) سورة الشعراء / ١٨٩ .

نِجَاةُ شُعَيْبٍ وَالْمُؤْمِنِينَ

أَمَّا النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، فَقَدْ أَنْقَذَهُمُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَذَابِ، الَّذِي حَاقَ بِالْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، رَحْمَةً
بِهِمْ وَمُكَافَأَةً عَلَى إِيمَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ:

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رَحْمَةً مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا
لِّلْمُنِينَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾^(١).

وَعِنْدَمَا رَأَى النَّبِيُّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَلَّ بِقَوْمِهِ أَسْفَ
عَلَيْهِمْ أَشَدَّ الْأَسْفِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ تَارِكًا دِيَارَهُمْ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ،
فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَأَنَّهُ انْتَابَهُ الْحُزْنُ لِمَا آلَ^(٢) إِلَيْهِ قَوْمُهُ وَلَكِنَّهُ،
أَلَمْ يَقُمْ بِوَاجِبِهِ خَيْرَ قِيَامٍ؟ أَلَمْ يَخْرِصْ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى
هِدَايَتِهِمْ؟ وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ سُوءِ الْفِعَالِ وَالْأَقْوَالِ، مِمَّا
خَفَّفَ عَنْهُ الْوَجْدَ وَالْحُزْنَ.

(١) ثمود: قوم النبي صالح عليه السلام من سورة هود الآية / ٩٤ - ٩٥ / .

(٢) آل: انتهى .

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ :

﴿ فَتَوَلَّى ^(١) عَنْهُمْ وَقَالَ يَافُوكُمْ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي ربي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
فَكَيْفَ آسَى ^(٢) عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ .

وَهَكَذَا يَلْقَى كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَكُلِّ كَافِرٍ جَاحِدٍ جَزَاءَهُ
الْعَادِلُ، مَهْمَا طَالَتْ بِهِ السُّنُونَ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنْهَلِ وَلَا يُهْمِلُ،
وَقَدْ يَمُدُّ الْمُتَجَبَّرَ الْمُتَكَبِّرَ، بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْمَلَذَّاتِ وَالْمُغْرِيَّاتِ لِكِنَّهُ
إِنْ أَغْلَقَ عَقْلَهُ، وَأَوْصَدَ قَلْبَهُ لِنِدَاءِ رَبِّهِ، الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَى
الْإِيمَانِ، فَلَنْ يُفْلَحَ أَبَدًا، وَسَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَسَيَنْدُمُ عَلَى
مَا فَاتَ وَعَلَى مَا قَدَّمَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَسَيَخْلُدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنْهَا وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ
وَالصَّالِحِينَ آمِينَ.

(١) فتولى : أعرض عنهم .

(٢) آسى : أحزن .